إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن

جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع

بتاريخ: 21و22 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق لـ 15 و16 نوفمبر 2022

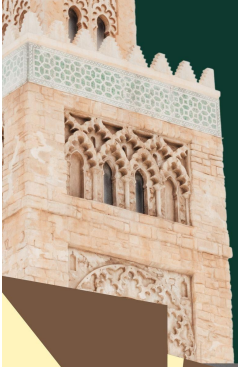

تنزيل القرآن على الواقع عند الإبراهيمي من خلال الآثار

ط.د/ رضوان بن قروط ، إشراف: أ.د/ لخضر حداد
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الجزائر1
Kerroutradouane442@gmail.com

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الملخص

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء حول تنزيل القرآن عند البشير الإبراهيمي على الواقع، من خلال كتابه الآثار؛ مجلية تميز الإبراهيمي في هذا الباب من خلال تأكيده على أهمية ربط الأمة بالقرآن لمعالجة أدوائها، وجعله ميزان أعمالها الظاهرة والباطنة، وتنزيله على واقعها تنزيل عمل واهتداء، وقد أعاد وأبدأ فيه، بالإضافة إلى تطبيق عملي من خلال كتاباته في تنزيل الآيات على واقع الأمة، وإن لم يكن متصديا للتفسير؛ ولكن الإبراهيمي له منهج أصيل في ذلك، قد يكون مشرعا للسالكين في هذا المضمار، يهتدي به من أراد تنزيل القرآن على الواقع، وهو ما رام الباحث بيانه وكشفه في هذه الورقات.

الكلمات المفتاحية: تنزيل القرآن، الواقع، الإبراهيمي.

Abstract

This research paper aims to shed light on the reality of the revelation .of the Qur'an by Al-Bashir Al-Ibrahimi through his book Al-Athar. showing the iBrahimi distinction in this section by emphasizing the importance of linking the nation with the Qur'an to treat its medicines, making it the balance of its visible and inward actions, and put it on reality,for work and guidance, and he repeated and started it, in addition to a practical application through his writings in downloading verses on the reality of the nation. He was not opposed to the interpretation, but the Ibrahimi has an original approach to that, which may be a legislator for those who follow in this field, as a guide for those who want to download the Qur'an to reality, which is what the researcher intended to explain and reveal in these papers.

Keywords: sending down the Qur'an, reality, the ibrahimi.

1-المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل خير كتبه على خير رسله، واختار لحمله من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ القائمين عليه بالتدبر والتفكر، وآله وصحبه أما بعد:

فقد شهد العصر الحديث بتلاحق أحداثه، وتوالي محدثاته، محنة للمسلم، فرضت عليه تساؤلات وجودية عن سبب هذا التقهقر الحضاري، وكان من بين الرؤى التي تداعى من أجلها المصلحون ضرورة العودة إلى المنبع الأصل إلى النص القرآني، هذا المعين الذي لا ينضب، والمورد الذي لا يكدره كثرة الواردين والصادرين،وذلك حتى يجتنى هداه، وكان القائم على هذا الأمر ورثة الأنبياء من المصلحين؛ من ذلكم علامة الجزائر البشير الإبراهيمي، فقد كانت له عناية بإصلاح الأمة، وإيقاظها من غفلتها، وتنبيهها من سنتها، وبعث الروح فيها، وإذكاء نار العزة في جنبها، فقد كثرت في وقته أدواؤها وتعددت أسقامها، فيمم العلامة الإبراهيمي شطره نحو القرآن؛ موظفا إياه في دروسه وخطبه، ومنوها بمكانه من عملية الإصلاح، فعل الطبيب الحاذق الذي يختار من الأدوية ما هو أنفع وأجدى، وأوفق للفطرة والطبع السليم، بعيدا عن التكلف، لأجل ذاك رام الباحث أن يجعل ورقته البحثية تتناول هذه الحيثية ألا هي توظيف القرآن في الإصلاح وتنزيله على واقع الأمة في إبانه، لأجل أن نتبين فيها منهجه حتى نهتدي بمنارهم، ونقتدي بمسلكهم في ذلك، وهذه الحيثية والاهتمام بها على هذه الخصوصية فيما أعلم لم تطرق بعد، وإن كانت البحوث حول شخصية المصلح البشير الإبراهيمي كثيرة حول بلاغته وبيانه، وقد سلكت في ذلك الخطة الآتية بعد المقدمة ترجمة موجزة تعريف بتنزيل القرآن على الواقع وأنواعه وشروطه وضوابطه وفوائده، أما المبحث الثاني فتناولت فيه توظيف البشير الإبراهيمي للقرآن في الإصلاح: الأول مجملا والثاني مفصلا هذا الأخير ينقسم إلى قسمين: التصريح والتلميح وفي الأخير خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات. وقد عرف البحث بعض الصعوبات منها أن البشير الإبراهيمي لم يكن متصديا لتفسير القرآن فالمادة العلمية مبثوثة في مقالات وخطب، والميزة الثانية أن كثيرا منها مرتجل على الطريقة الخطابية في مخاطبة الجمهور ما جعلها تتميز بمميزات خاصة كالاستطراد.

وهذا لا ينقص من أهمية البحث فهي حول إمام كامل الآلة، له منهج أصيل يسهم البحث في تبين تقاسيمه، وطريقته.

2-ترجمة موجزة للبشير الإبراهيمي:

هو محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ولد 1306هـ موافق 1889 م رائد من رواد النهضة الجزائرية من كبار العلماء. ولد ونشأ بدائرة سطيف في قبيلة ريغة الشهيرة بأولاد إبراهيم (ابن يحيى بن مساهل) من أعمال قسنطينة وتفقه وتأدب بعمه عالم البلد آنذاك محمد المكي ثم رحل إلى المشرق (سنة 1911) فأقام في المدينة إلى سنة 17 وفي دمشق إلى حوالي 1921 وعاد إلى الجزائر وقد نشطت حركة عبد الحميد ابن باديس ساهم في إنشاء جمعية العلماء (1931) وتولى ابن باديس رئاستها والإبراهيمي النيابة عنه. وأبعد رحمه الله إلى أفلو في الصحراء (1940)

وبعد أسبوع من وصوله إلى المعتقل توفي ابن باديس، وقرر رجال الجمعية انتخاب الإبراهيمي لرئاستها. واستمر في (معتقل آفلو) من سنة 1940 - 43 وأطلق. فأنشأ في عام واحد 73 مدرسة بل كتّابا، وكان الهدف نشر اللغة العربية. وجعل ذلك عن طريق تحفيظ القرآن الكريم، إبعادا لتدخل سلطات الاحتلال. وتهافت الجزائريون على بناء المدارس فزادت على 400 وزج في السجن العسكري (سنة 45) وعذب. وأفرج عنه فقام بجولات في أنحاء الجزائر لتجديد النشاط في إنشاء المدارس والأندية. ثم استقر (سنة 52) في القاهرة واندلعت الثورة الجزائرية الكبرى (54) فقام برحلات إلى الهند وغيرها لإمدادها بالمال. وعاد إلى الجزائر بعد استقلالها وتوفي سنة 1385هـ = 1965 م. وكان من أعضاء المجامع العلمية العربية في القاهرة ودمشق وبغداد. وله شعر منه (ملحمة) في تاريخ الإسلام والمجتمع الجزائري والاستعمار، قال: أنها 36 ألف بيت وكان ينشر مقالاته في جريدة البصائر، بالجزائر وهو رئيس تحريرها، فجمعت المقالات في كتاب (عيون البصائر - ط) وهو من خطباء الارتجال المفوهين.

وله كتب ما زالت مخطوطة، منها (شعب الإيمان) في الأخلاق والفضائل، و (التسمية بالمصدر) و (أسرار الضمائر العربية) و (كاهنة أوراس) قصة روائية و (نشر الطي من أعمال عَبْد الحَيّ) ابن عَبْد الكَبير الكتاني، في نقد سيرته. وخصه محمد الطاهر فضلاء، بجزء مستقل من كتابه (أعيان الجزائر) سماه (الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي - ط)[1]

3-تنزيل القرآن على الواقع:

يعد هذا المبحث في الدراسات القرآنية جديدا في نوعه، أصيلا في مقصده، إذ هو الغاية والمقصد من إنزال القرآن الكريم، وهو الهداية للتي هي أقوم، ولكنه كمبحث مفرد فإنه من اهتمامات العصر؛ نظرا لتعقد الواقع والحاجة إلى تنزيل القرآن عليه، وشده إليه برباط علمي وثيق، يحلل أجزاءه، ويعالج مكنوناته، وقد أشار إلى أهمية ذلك العلماء؛ قال ابن القيم بعد أن فسر معنى بعض الآيات:" فَكَفَى بِهَذِهِ الْآيَةِ نُورًا، وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً، وَتَجْرِيدًا لِلتَّوْحِيدِ، وَقَطْعًا لِأُصُولِ الشِّرْكِ وَمَوَادهُ لِمَنْ عَقَلَهَا، وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ أَمْثَالِهَا وَنَظَائِرِهَا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْعُرُونَ بِدُخُولِ الْوَاقِعِ تَحْتَهُ، وَتَضَمُّنِهِ لَهُ، ويَظُنُّونَهُ فِي نَوْعٍ وَفِي قَوْمٍ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يُعْقِبُوا وَارِثًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ.

وَلَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ قَدْ خَلَوْا، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُمْ، أَوْ دُونَهُمْ، وَتَنَاوُلُ الْقُرْآنِ لَهُمْ كَتَنَاوُلِهِ لِأُولَئِكَ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا تُنْقَضُ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، إِذَا نَشَأَ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْجَاهِلِيَّةَ."[2].

وقال في موضع آخر: "وَالنَّاصِحُ لِنَفْسِهِ. الْعَامِلُ عَلَى نَجَاتِهَا: يَتَدَبَّرُ هَذِهِ الْآيَاتَ حَقَّ تَدَبُّرِهَا. وَيَتَأَمَّلُهَا حَقَّ تَأَمُّلِهَا. وَيُنْزِلُهَا عَلَى الْوَاقِعِ: فَيَرَى الْعَجَبَ. وَلَا يَظُنُّهَا اخْتَصَّتْ بِقَوْمٍ كَانُوا فَبَانُوا. فَالْحَدِيثُ لَكِ. وَاسْمَعِي يَا جَارَةُ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ"[3] فتنزيل القرآن على الواقع في النفس، والأهل

---

[1] بتصرف من الأعلام للزركلي (6/ 54) ينظر ترجمته: في الآثار ج5، ص164/290/273/299.

[2] مدارج السالكين ، ابن القيم، ج1، ص351.

[3] مدارج السالكين، ابن القيم، ج2، ص267.

والأحوال والمقامات هو غاية عظيمة ومقصد جليل من مقاصد القرآن.

3-1.**تعريفه**: "هو مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية."[4]

و تنزيل القرآن على الواقع له نظير؛ هو نزول القرآن منجما على الحوادث والواقعات، وما يذكر من أسباب النزول، والأسئلة الواردة في القرآن من نحو يسألونك، أو ما نزل في حوادث مشهودة كغزوة بدر وأحد أو ما كان في بداية الدعوة من تسلية الرسول كسورة الضحى وغير ذلك كثير، ولكن الأول قطعي والثاني نظري اجتهادي، وكما أن حكمة الله اقتضت تنزيله مفرقا منجما لحكم عالية وغايات عظيمة وردت في القرآن من نحو التثبيت والبيان وغيرها قال تعالى: وقال الذين كفروا لولا نزل القرآن...." الآية.

فلا يعزب عنا أن القرآن كتاب هداية نزل على مقتضيات الرحمة الإلهية؛ من إنزال الكتب وبعث الرسل، للهدى، والبيان، وإزالة الخلاف فإنه محل الاهتداء في كل زمان، ومكان؛ ولذا قال العلماء العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[5].

فتنزيل القرآن على الواقع لم يزل ديدن العلماء، وما هذه الثروة الفقهية إلى مجال فسيح لتنزيل النصوص على الواقعات، والنوازل وهو ما يعرف في الفقه بفقه النوازل.

3-2.**أنواعه**: يقسم المهتمون بهذا الشأن تنزيل الآيات على الواقع إلى نوعين:

3-2-1.**النوع الأول: تنزيل التصريح:**

هو أن يذكر المفسر ما يصح أن ينزل عليه معنى الآية بنوع من الدلالة، وله ألفاظ مختلفة جرت عادة المفسرين أن يستعملوها لهذا الغرض ،كأن يقول وهذا مثل ما يحصل في زماننا ونحو ذلك من العبارات التي يستفاد منها دخول هذه الواقعة بنوع من الدلالة المعتبرة تحت دلالة الآيات.

3-2-2.**النوع الثاني: تنزيل التلميح:**

هو أن يلمح المفسر، أو يعرض بدخول الواقعات تحت دلالة الآيات من طرف خفي، لسبب ظاهر من نحو خوف سلطان، أو خفي من نحو حكمة اجتماعية[6].

3-3.**شروطه وضوابطه:**

يذكر المهتمون بهذا الباب بعض الضوابط في تنزيل القرآن على الواقع؛ نجملها في النقاط الآتية[7]:

سلامة المقصد في التنزيل وهو ضابط ذاتي؛ ليخرج القائل من الهوى، وسائر الغواشي المانعة من إصابة الحق.

ثانيا أن يكون ممن عرف بالعلم، واستجماع آلته؛ حتى يسلم من مغبة القول على الله بلا

---

[4] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز الضامر، ص33.

[5] ينظر مقدمة التفسير لابن تيمية، ص16.

[6] ينظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز الضامر ص71.

[7] ينظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز الضامر ص89.

علم، فمن تكلف ما ليس في طوقه، فقد أوبق نفسه، وأقحمها فيما لا تزول تبعته.

ثالثا أن يكون بصيرا بالواقع، بصيرا بمواقع الدلالة، وكيفية وقوعها على مدلولاتها بأصناف الدلالات المعتبرة شرعا، ومبحث هذا في أصول الفقه، ولا يتوسل بعلوم لا تتأسس على أصل مكين من القرآن والسنة وفقه الصحابة، وطريقتهم في فهم النصوص.

3-4.**فوائده:**

يذكر من فوائد تنزيل القرآن على الواقع[8] :

أن يحي القرآن في القلوب، ويكون المرآة الصقيلة التي تري عيوب واقعنا ويهتدي بها في ظلمات الجهل والشك. وأكرم بها فائدة إذ بها سعادة الدنيا والآخرة.

كما تتضمن فوائد أخرى كتوثيق التاريخ والواقع، معرفة تفاعل العلماء مع الأحداث وغيرها من الفوائد.

4.**توظيف البشير الإبراهيمي للقرآن في الإصلاح من خلال الآثار:**

بالتأمل فيما ترك العلامة البشير الإبراهيمي من آثاره، فإنه يتبين أن توظيفه للقرآن كان على سبيل الإجمال من الدعوة إلى تحكيم القرآن، وتعظيم شأنه، و أنه طريق الفلاح والخلاص، وبيان مخالفة الكثير من العوائد للقرآن على سبيل الإجماع، وفي هذا الأسلوب شحذ الهمة في الرجوع إلى القرآن ووزن الأعمال به.

أما الطريق الثانية فهي الاستدلال بآي القرآن تصريحا، أو تلميحا وقبل ذلك يحسن أن نبين توظيف القرآن في الإصلاح على سبيل الإجمال.

1-4.**منزلة القرآن عند البشير الإبراهيمي عملا واستدلالا:** لم يفتأ الإبراهيمي من الدعوة إلى الرجوع إلى هدي القرآن، والسنة النبوية، ومن يطالع كتاب الآثار يجد العدد الجم من الموضوعات التي تطرق فيها إلى أثر القرآن في نهضة الأمة، و أنه المرقاة لعلوها ورفعتها؛ يقول رحمه الله:"وقد كانت هذه الأمة معرضة عن القرآن مشغولة عنه بما لا يفيد، معتقدة فيه العقائد السخيفة مستغنية عن فهمه بحفظه مع تقصيرها في أداء لفظه، مستعيضة عن تلاوته بتلاوة الأوراد والأذكار، وعن دراسته بدراسة كتب جافّة من وضع المخلوق لا تبعث في النفس نشاطًا ولا تنشر في القلوب حياة ولا تغرس في الأفئدة فضيلة، ولا تقتلع منها رذيلة، ولا تشرف على القلوب المظلمة بنور، ولكنها بدأت اليوم ترجع إلى القرآن وتستجلي أنوار الهداية وأسرار الكائنات من آياته، وتأخذ الحياة قوية من تعاليمه، وكأنها برجوعها إلى القرآن تجدد نفسها وتستأنف في الحياة تاريخها، وعسى أن تنتهي من هذه الوجهة الجديدة إلى غايتها، فتنتهي إلى السعادة والخير." [9].

ويشير أيضا إلى عودة هذه الروح تسري من جديد في أهل الجزائر بفضل الله، ثم بفضل نشاط جمعية العلماء يقول رحمه الله:" نجحت الجمعية أيضًا في إلفات الأمة إلى القرآن وفي

---

[8] ينظر: تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز الضامر ص79.

[9] آثار الإبراهيمي، ج1، ص284.

جمعها عليه وحملها على التدبّر في معانيه، لتأخذ منه كل نفس على قدر استعدادها وتستنير من عبره و زواجره ما يسوقها إلى الخير ويزعها عن الشر حتى يكون المؤمن مسوقًا بالقرآن مدبرًا به. وسنرى من تأثير القرآن في النفوس ما يحقّق الأمنية التي تاق إليها حكماء الأمم وأعياهم الوصول إليها، وهي الكمال الروحي من طريق سمو الأخلاق وهي الغاية التي وصل إليها سلفنا وما وصلوا إليها إلا بالقرآن."[10].

2-4. **مسالك تنزيل القرآن على الواقع عند الإبراهيمي:**

يحسن بنا تأصيلا للمسألة أن نشير أن تنزيل القرآن على الواقع عند الإبراهيمي سلك فيه مسلكان:

1-2-4. **الأول:** صريح يشير فيه إلى بعض الواقعات، وتنزيل الآية إما بالموافقة، أو المخالفة وهذا يأتي غالبا في دروسه التي يكون فيها استدلال، وسرد للنصوص من الكتاب والسنة.

2-2-4. **الثاني:** فيسلك فيه مسلكا بديعيا هو الاقتباس[11] من القرآن، دون التصريح بالآيات وعلة ذلك أن العلامة البشير الإبراهيمي خطيب مفوه، ومتحدث بارع متفنن في أساليبه، قد رفد القرآن لغته فهي قبس من ذلك الكتاب العظيم، فجاء بيانه قرآنيا بحق، ولا نعدم في هذا المسلك لمحة دالة وإشارة خفية عن حال الأمة وواقعها.

ولهذا سنقسم التنزيل إلى قسمين:

3-4.**التنزيل الصريح:**

إن أهم المظاهر التي تكشف عن حالة الجهل التي كان يعشها المسلمون عامة، وفي الجزائر خاصة إبان حقبة المستدمر الفرنسي هي انتشار الشرك والبدع والخرافات التي تثبط العزائم وتميت السنن، ولقد قصد إليها المصلحون بحجج القرآن؛ يزيل عنها غشاوتها، وينير ظلمتها، ومن ذلكم البشير الإبراهيمي فقد أشار في طائفة من مقالاته إلى هذه الأدواء، مبينا علاجها من القرآن في مسلك أصيل من تنزيل القرآن على الواقع نذكر طائفة من ذلك.

1-3-4.**علاج عدم الاهتداء بالقرآن والتكسب به وقراءته على الأموات:**

يشير الإبراهيمي إلى تخلف المعاني الواردة في الآيات، وهي الهدى الاهتداء، رغم تلاوته وحفظه وأن حظ أهل زمانه هو حروفه دون معانيه، ويبين بعض العادات الجارية في التعامل مع القرآن كقراءته على الأموات، أو التكسب به فيقول رحمه الله: "ولكن ما هو هذا القرآن الذي نكرره في كل سطر؟ أهو هذه (الأحزاب الستون) أو (الأجزاء الثلاثون) التي نحفظها وننفق على حفظها سنوات الطفولة العذبة، وسنوات الشباب الزهر. ثم لا يكون حظنا منه عند هجوم الكبر إلا قراءته على الأموات بدريهمات، واتخاذه جُنة من الجِنَّة وغير ذلك من الهنات الهينات؟"[12].

---

[10] المصدر السابق ج1، ص284..

[11] الاقتباس فن بديعي وهو أن يضمن المتكلم في كلامه كلاما آخر كالقرآن أو الحديث أو بيت شعر... ينظر: جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي، ج1، ص338.

[12] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (1/ 160)

ثم يتساءل عن تخلف الهداية عن تاليه من المتأخرين مع أنه أكسب الأولين هدى في العلم، وزكاء في العمل؛ يقول رحمه الله: " إن كان هو هذا فَلِمَ لم يفعل في الآخرين فعله في الأولين؟ ولمَ نرى حفاظه اليوم- على كثرتهم- أنقى الناس من هذه المعاني التي كان القرآن يفيضها على نفوس حفاظه بالأمس؟ ونجدهم دائمًا في أخريات الناس أخلاقًا وأعمالًا حتى لقد أصبحوا هدفا لسخرية الساخر، يتكسبون بالقرآن فلا يجدبهم، ويقعون في المزالق فلا يهديهم، مع أنهم يقرأون فيه {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}."[13].

ثم يربط الأمة في علاج دائها، وبرء سقامها إلى الدواء الشافي؛ فيقول رحمه الله:"وإنما السر كل السر في تدبره وفهمه، وفي اتباعه والتخلق بأخلاقه. ومن آياته ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾، ومن آياته ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ**﴾ و﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا**﴾." هذه هي الطريقة الواحدة التي اتبعها المسلمون الأولون فسعدوا باتباعها والاستقامة عليها"[14].

2-3-4.طاعة السادة والكبراء في البدع والمنكرات:

يشنع الإبراهيمي على بعض أهل زمانه البدع المحدثة في الجنائز؛ قائلا:"والتذكر والاعتبار بمن حملوا على الأعواد. والخشوع معروف هو غير الصراخ والعويل والضجيج والتهويل وقد شيّع الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه وبناته، وشيّعه أصحابه من بعده وشيّع الصحابة- رضوان الله عليهم- بعضهم بعضًا كذلك على هيئة واجمة رهيبة تأثيرها في مشاهديها تأثير ما بعده من تأثير."[15].

ثم عرض لبعض جدالهم بالباطل عن تلكم البدع، وما ذاك إلا تعصبا، ومماحكة للحق وأهله وطاعة للسادة والكبراء؛ فقال:"وما لنا ولهذا الموضوع وقد فرغ منه الناس كتابة وبحثًا، وهدى الله بذلك خلقًا كثيرًا كتب الله لهم النجاة من هؤلاء الذين سيقول أتباعهم القليلون- والحمد لله-: ﴿**إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾."[16].

كما عالج الإبراهيمي بعض مظاهر الشرك كدعاء الأموات، وبناء القباب عليها، مؤيدا ذلك بالآيات من كتاب الله، وأن هذه المظاهر كتلكم التي أنكرها القرآن، وأبطلها يقول رحمه الله:"ومن آفات البعد عن هداية القرآن وعلوم القرآن وتربية القرآن أن الوثنية التي أودت بالأمم قبلنا، وكانت علة العلل في ضلالها وشقائها، ولقي منها رسل الله الأَلاقي حتى قال نوح في الوثنيين من قومه، بعد أن ذكر أسماء أوثانهم: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا**

---

[13] المصدر السابق ج1،ص160.
[14] المصدر نفسه، ج1، ص160.
[15] المصدر نفسه، ج1، ص290.
[16] المصدر نفسه،ج1، ص290.

سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا، وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾، وقال إبراهيم في أوثان قومه: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ هذا المرض الفتاك الذي استعصى على أولي العزم من رسل الله علاجُه، هو الذي غفل عنه المسلمون، وهون شأنَه علماؤهم الجامدون حتى استشرى وأعضل.فهذه القِباب المشيدة، وهي أوثان هذه الأمة، أضلت كثيرًا من الناس، وأكثر من الكثير، وافتتنوا بها، وبأسماء أصحابها حتى ألهتْهم عن دنياهم وأفسدت عليهم أخراهم، وغلوا في تعظيمها حتى أصبحت معبودة تُشَدُّ إليها الرحال، وتقرَّبُ لها القرابين والنذور، وتسأل عندها الحاجات التي لا تسْأَلُ إلّا من الله، ويحلف بها من دون الله، ويتآلى بها على الله، وما جَرَّ هذا البلاء على الأمة الإسلامية حتى أضاعت الدين والدنيا، إلّا سكوتُ العلماء عن هذه الأباطيل أول نشأتها، وعدمُ سدِّهم لذرائعها حتى طغت هذا الطغيان على عقول الأمة، ولو أنهم فقهوا الأمة في كتابِ ربها، وساسوها بسنة نبيها لكان لها من سيرة إبراهيم ومحمد عاصمٌ أي عاصم من هذا الشر المستطير."[17].

3-3-4.سر التمكين في الأرض:

كان العلامة البشير الإبراهيمي دائما يستنهض الهمم بربط الأمة بما ناله السلف من السيادة في الدين والدنيا، ويشير إلى سبب ذلك بما ذكره القرآن؛ قائلا: "إن أسلافنا قاموا بما شرط عليهم القرآن في قوله: **﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**. فتحقق معهم وعد الله في القرآن: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾**. فكانوا خلفاء الأرض يقيمون فيها الحق والعدل وينشرون فيها الخير والرحمة ويطهرونها من الشرك والوثنية ويحققون حكمة الله بإقامة سننه الكونية والشرعية، لا يراهم الله إلا حيث يرضيه أن يراهم. لأن مما أفادهم القرآن استجلاء العبر من قوله تعالى:**﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾** وقوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾**. وقوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾**"[18].

كم يدلل من القرآن على سبب عدم التمكين في الأرض، إنما هو من قبل الأنفس فيقول رحمه الله:"فلو أقمنا لجنة لامتحان المسلمين لسقط 99% منهم، لأننا مسلمون باللفظ وإلّا فكيف نُغلب بالكَفَرة، أيكذب القرآن؟ حاشا لله: بل نحن كاذبون، **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ﴾**، **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**، وقد كرّر الله سبحانه هذا المعنى بأساليب مختلفة، فنحن إذن بين أمرين: فإما أننا كاذبون في إسلامنا، أو أن الله قد جار علينا، والله نزيه عن الجور. إذن فنحن كاذبون في إسلامنا ظالمون لأنفسنا فعلينا أن نتوب والتوبة تكون بالرجوع

[17] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج1، ص397.
[18] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج1، ص325.

إلى الله سبحانه وتعالى واتّباع أوامره ونواهيه، والإقلاع عن الخضوع لغيره، وبمواجهة الحياة والاستهانة بها."[19].

كما يشير إلى فهم خاطئ ساد في عصره عن سر العزة نالها السلف؛ يقول رحمه الله:"يعتقد المسلمون كلّهم أن سلفهم كانوا أكمل إيمانًا من خلفهم وهذا صحيح، ولكنهم لا يبحثون عن علة كمال الإيمان في السلف حتى لكأنهم يعتقدون أن ذلك بوضع إلهي وتخصيص رباني لا يد للكسب فيه، وهذا خطأ فاحش وجهل فاضح."وما دام الكلام في الإيمان، فهاته وانظر كيف فهمه السلف ومن أي معين استقوا فهمه ومن أي أفق استجلوا حقائقه. ثم انظر كيف فهمه الخلف ومن أين سقطت عليهم هذه الفهوم السخيفة. ثم أرجع كل معلول إلى علته بلا إجهاد للذهن ولا إنضاء للقريحة."[20].

ثم يشير إلى فهم السلف لمعنى الإيمان من القرآن:"إن السلف تذرّعوا لفهم القرآن ذريعتين: الذوق العربي الصحيح، والسنة النبوية الصحيحة.وقد كانوا يؤمنون بأنه كل لا يتجزأ وأن بعضه يفسّر بعضه وقد استعرضوه بعد فهمه بتلك الذرائع، فوجدوه يُعرّف الإيمان بالصفات اللازمة والتي يتكون من مجموعها، فيقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ الآية ويقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**﴾. ويقول: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ إلى آخرها. ويقول: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**﴾ إلى آخرها. ويقول: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾إلى آخرها. ويقول غيرها من الآيات الجامعة لشعب الإيمان وخصاله وصفاته الذاتية، ثم وجدوه لا يذكر الإيمان في المعارض المختلفة إلا مقرونًا بالعمل الصالح ففهموا من القرآن ما هو الإيمان وما هي الأعمال الصالحة، فآمنوا وعملوا الصالحات فكان إيمانهم أكمل إيمان بالعمل والكسب لا بشيء آخر من الخوارق والاختصاصات. وعلى هذا النحو فهموا العبادة وتوحيد الله وكمالاته المطلقة والرسل ووظائفهم والملائكة الخ.

أما الخلف فقد عدلوا عن هذا كله منذ صاروا يفهمون الإيمان من القواعد التعليمية وفقدوا الذوق والاسترشاد بالسنة."[21].

كما يذكر الإبراهيمي بأسباب النصر والتمكين:" يا قوم: ما أخلف العيد، وما أخلفت من ربكم المواعيد. ولكنكم أخلفتم، وأسلفتم الشر فجُزيتم بما أسلفتم، ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا**﴾.

فلو أنكم آمنتم بالله حق الإيمان، وعملتم الصالحات التي جاء بها القرآن، ومنها جمع

---

[19] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (4/ 211).

[20] المصدر نفسه ج1، ص326.

[21] المصدر نفسه، ج1، ص326.

الكلمة، وإعداد القوّة، ومحو التنازع من بينكم، لأنجز الله لكم وعده، وجعلكم خلائف الأرض؛ ولكنكم تنازعتم ففشلتم وذهبتْ ريحكم، وما ظلمكم الله ولكن ظلمتم أنفسكم."[22].

4-3-4.ترك التفهم والتدبر للقرآن:

بيان الإبراهيمي وقوع ما يخالف هدي الآية من التمسك بالقرآن يقول رحمه الله:"﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ...**﴾ ويقول : ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ...**﴾. وهذه الفوائد كلها لا تتحقق إلّا بفهمه والعمل به، ولكن سواد المسلمين اليوم وقبل اليوم بقرون، ومن ورائهم علماؤهم، أصبحوا يعتقدون، وأعمالهم تشهد باعتقادهم، أن القرآن إنما أنزل لتتلى ألفاظُه تعبُّدًا وتبركًا أو هدية للآخرين، وتكتب حروفه استشفاء من الأمراض والعاهات الجسدية.

إن هذه الآية وأمثالها هي أسلحتنا التي ندفع بها في نحور أعدائنا، وحوافزنا إلى ما نحاوله من فهم القرآن وتفهيمه، وإلى ما ندعو إليه من إرجاع المسلمين إلى حظيرة القرآن."[23].

لا يفتأ الإبراهيمي من تذكير أهل زمانه الحاجة إلى القرآن، وتدبر معانيه، وإتباع هداه؛ فقال بعد أن شرح وظائف أهل القرآن ببيان رائع، و بكلام بديع، فصل ما أجملته الآيات فقال:"أما أنا- ولا أعوذ بالله من كلمة أنا- فلو أُلقي علي هذا السؤال لتمردت على قوانين الجدال وأجبت على المغافصة والارتجال، ولم أرع إلا الاعتبار المناسب ومقتضى الحال. وجررت السائل (عن وظائف) القرآن إلى (وظائف) أهل القرآن مع القرآن، وقلت للسائل ضع على ظهر المصحف بالقلم العريض قوله تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾. وقوله: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ واجعل جملتي ﴿**فَاتَّبِعُوهُ**﴾ و﴿**لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ بين أقواس علّ هذه الأقواس المحنية تصيب من قارئه شاكلة انتباه فتزعجه إلى معرفة أن هاتين الآيتين هما جواز الداخل إلى أقطار القرآن، وعل هذه القلوب القاسية تستشعر حق القرآن عليها ووظيفتها التي يجب أن تقوم بها نحوه، وهي التدبر لمعانيه واتباعه"[24].

ثم أسهب رحمه في ذكر معاني التدبر والاتباع، وحقوق القرآن علينا في ذلك، ويشير إلى حاجة الأمة في واقعها إلى مثل ذلك فقال رحمه الله:" إنه لم يمض على المسلمين في تاريخهم الطويل عصر هم فيه أبعد عن القرآن منهم في هذا العصر، ولم يمض على الدعاة إلى الحق وقت عظمت فيه العهدة واستغلظ الميثاق مثل هذا الوقت، وإنه لا مخرج لهم من هذه العهدة ولا تحلل من هذا الميثاق إلا بالدعوة إلى القرآن. فلا عجب- ونحن نشعر بثقل هذه الأمانة- من أن ترتفع أصواتنا بالدعوة إليه."[25].

---

[22] المصدر السابق، ج3، ص470.
[23] المصدر نفسه، ج1ص 404.
[24] المصدر نفسه، ج1، ص321.
[25] المصدر نفسه، ج1، ص322.

4-3-5. **تفرق المسلمين وتشتتهم:**

لقد كان تفرق المسلمين، وترك الاهتداء بالقرآن من أعظم الدلائل على ضعف قوتهم، وذهاب ريحهم فوصف العلامة الإبراهيمي حال المسلمين في الأزمان المتأخرة، وربط الناس في زمانه بالآيات الدالة على عدم التفرق من القرآن فيقول:"والقرآن يبدئ ويعيد في هذا الباب ويقص علينا من مبادئ بني إسرائيل ومصائرهم ومواردهم ومصادرهم ما فيه مزدجر، كل ذلك لنعتبر بأحوالهم، ولا نسلك الطريق الذي سلكوا فنهلك كما هلكوا.

ولم يأل نبينا - صلى الله عليه وسلم - أمته نصحًا وإبلاغًا في هذا الباب، وكيف لا وقد أنزل عليه ربه ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ فكان أخشى ما يخشاه على أمته أن يدب فيها داء الأمم قبلها فتختلف كما اختلفت، وتتفرق في الدين كما تفرقت."[26].

ثم يصف هذا التفرق الذي أدركه في زمانه، وحال الناس مع القرآن بقوله:"وقد وقع ما كان يخشاه - صلى الله عليه وسلم -، فتفرقت أمته في الدين ولعن بعضها بعضًا باسم الدين، وأكل بعضها مال بعض باسم الدين، وانتهكت الأعراض والحرمات باسم الدين، واتبعت سَنَنَ من قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع."[27].

ولكنه يستبشر برجوع هذه الفئة المباركة إلى هداية القرآن"....وقد قوّى أملنا في رجوعهم إليه وإقبالهم عليه ما نراه من اصطباغ الحركة الإصلاحية الحديثة بالصبغة القرآنية، فهي سائرة إلى غايته، داعية إليه، مرشدة به، مستدلة بآياته، به تصول وبه تحارب، وعليه تحامي"[28].

4-3-6.**تنزيل بعض الآيات في التلاوم والاختلاف:**

يقول رحمه الله:"كذلك يجب أن لا نقضي أعمالنا في التلاوم، وأن لا نكون كمن قال فيهم القرآن: ﴿**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ**﴾ فإذا تلاومنا فليكن ذلك زجرًا عن الشر، وردعًا عن الخلاف، ثم رجوعًا سريعًا إلى الحق، ولقد نهى شوقي إخواننا المصريين حينما كانوا يتلاومون فيشغلهم التلاوم عن قضيتهم والاستعداد، وبرأهم في موقف تجب فيه المؤاخذة الوطنية، ليردّهم إلى سبيل الرشاد، فقال:

لا يلم بعضكم على الخطب بعضًا ... أيها القوم، كلكم أبرياء

فلندع اللوم والعتاب جانبًا، ولنفعل ما يفعله الصاحي حين يستيقظ من النوم من حزم وتشمير وجد، فبذلك يلحق القوافل المبكّرة، لا بالتباطؤ والإخلاد ولعن الشيطان ومعاودة النوم."[29].

4-3-7.**الاختلاف في صوم رمضان العيدين:**

ينوه رحمه الله أن التفرق في مظاهر الدين كالعيد، وصوم رمضان بين المسلمين لمن الأمور التي تفك أواصر الأخوة، وتفت في عضد الوحدة، وينزل الآيات ذلك على ذاك الواقع الأليم

---

[26] المصدر نفسه، ج1، ص162.
[27] المصدر نفسه ج1، ص162.
[28] المصدر نفسه ج1، ص162.
[29] المصدر نفسه ج2، ص469.

قائلا:" إن هذا الخلاف الفاشي بين المسلمين في الصوم والعيدين هو التفرّق في الدين، ومن سمّاه بغير هذا فهو جاهل أو كاتم للحقيقة عمدًا. والتفرّق في الدين حذّر منه القرآن فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾، **وقال:** ﴿**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾. وكيف يرجو المسلمون الخير وهم متفرقون في دينهم، مخالفون لكتابهم، معرضون عن وصايا نبيّهم، ناكبون عن صراط سلفهم.

إن من أشنع أنواع آثار التفرّق بين المسلمين اختلافهم في صوم رمضان وفي العيدين، ولو كان هذا الخلاف خلافًا صامتًا لا يصحبه تشهير لكان شرًا مقدرًا بقدره، ولكن خلافهم في هذا يصحبه تشهير من الصائم على المفطر ومن المفطر على الصائم وتشنيع ينتهي إلى سبب الخلاف فيثير الأحقاد الدفينة والحزازات الطائفية.

أصبح الخلاف في الصوم والإفطار تجديدًا للأحقاد الدينية فنكءٌ لجراحها وإثارة للفتن النائمة، ولا مبرّر له من اجتهاد أو خلاف مذهبي، أو اختلاف مطالع، فكل هذه الاعتبارات لا وزن لها في باب العلم، ولا محل لها في حقيقة الدين."[30].

4-4.تنزيل التلميح:

سلك الإبراهيمي هذا المسلك كونه يرتجل الخطب فيسكب عليها من بلاغة القرآن باقتباس آيه أو بتشبيه بليغ مؤثر.

4-4-1. إقامة القرآن:

قال رحمه الله: "قارنوا بين هذه الأمّة الإسلامية المطوية في بطن الأرض وفي بطون الكتب، وبين هذه الأمّة الإسلامية التي تدب على وجه الأرض تجدوا الفرق بعيدًا جدًا، ووجوه الشبه مفقودة البتة مع وجود الاشتراك في الاسم والنسبة. ثم التمسوا السبب تجدوه قريبًا منكم، وما هو إلا هذا القرآن أقامه الأولون وجمعوا عليه قلوبهم وراضوا نفوسهم على أخلاقه، فعلمها الإيمان والأمان والإحسان، واتخذه الآخرون مهجورًا فحقت عليهم كلمة الله في أمثالهم"[31].

وهذا فيه إشارة إلى قول الله حكاية عن الرسول قوله:"يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا" ثم يرشد رحمه الله إلى الدواء مقتبسا من آي القرآن " يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن؟"[32].

4-4-2.بعث الأمة في الرجوع إلى القرآن:

ففي تنزيل بديع من الإبراهيمي في جمع حضر بعض مناشط الجمعية فشبه بعث القلوب والأرواح بهذه الدعوة المباركة، وهي دعوة القرآن ببعث الأجساد من باريها عزوجل؛ مستشهدا بالآية؛ يقول رحمه الله:"إنني كلما استعرضت حال هذه الأمة في فكري، أو عرضت نفسها على عيني قصدًا في المحافل، أو عفوًا في المجامع والأسواق- تلوح لخاطري آية من كتاب الله تنطق بسننه المطردة في الأمم والقرون، وقد لاح لي عندما اعترضتني اليوم هذه الجموع الحاشدة، بل

---

[30] المصدر السابق، ج4، ص82.

[31] المصدر السابق ج1، ص363.

[32] المصدر نفسه، ج1، ص363.

هذه الوفود الراشدة، في أقصى القرية- آية هي من دلائل قدرة الله على البعث الأخير، ومن الحجج الدامغة على منكريه ولكنها- مع ذلك- قريبة الحضور في أذهان المتفائلين مثلي بالبعث الأول في هذه الحياة الدنيا.

تلك الآية هي قوله تعالى: ﴿**قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾.

لاحت لي آية البعث من القرآن عندما لاحت لي آية الانبعاث منكم، فأجلت بصيرتي في الأولى، عندما أجلت بصري في الثانية، فما زادت الثانية الأولى إلّا تمكينًا وتثبيتًا"[33].

3-4-4.**مسلك الاقتباس في أبواب متفرقةّ:**

يتميز أسلوب الإبراهيمي بالاقتباس من القرآن الكريم؛ بل هو من روعة سبكه يأتي بنيانا واحدا لا ترى شيئا يند عن نظرك، أو يمجه طبعك، بل كأنما روعة القرآن تتجلى في بديع تشبيهاته، ومواقع تنزيلاته، وليس ذلك ترفا من القول، ولا نافلة من الهذر كيفما اتفقت، بل يحز في المفصل، ويأتي الأمور من أبوابها، مبينا علاج كثير من الأدواء في عصره؛ يقول رحمه الله:"وإن الصحف في لسان العُرْف، كالصحائف في لسان الدِّين، منها: "صحائف الأبرار" و"صحائف الفجار" لذلك كان من حظ الأولى الابتلاء بالتعطيل والتعويق"[34].

وفي موضع آخر نقرأ له: "يا هؤلاء! إن الاستعمار شيطان، وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًّا "[35].

وعندما يتحدث عن الأحزاب مبينا لزوم الاجتماع وخطر الافتراق فيقتبس من القرآن قائلاً: "ما ذكر القرآن الأحزاب بلفظ الجمع إلا في مقام الخلاف والهزيمة ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ**﴾، ﴿**جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ**﴾ وإن حزب الله في الأمة الجزائرية هو جمعية العلماء"[36].

ويقتبس من القرآن تفريط إخوة يوسف فيقول:" وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصبة. إنا إذًا لخاسرون"[37].

5.**خاتمة:**

بعد إجالة النظر في كلام العلامة الإبراهيمي خلصنا إلى النتائج الآتية:

ربط الأمة بالقرآن على سبيل الإجمال من خلال تدبره، وتفهمه، وتنزيله التنزيل العلمي أولا، والتنزيل العملي ثانيا، وهذه الدعوة ظاهرة جلية في كل مقالات العلامة البشير الإبراهيمي.

يتميز تنزيل الإبراهيمي للقرآن على واقع الأمة في عصره بالعمق؛ حيث كان يعالج الأدواء الملهكة في العقائد والأعمال، مرشدا إلى مخالفتها للقرآن، وما ذلك إلا لعظيم وقع القرآن في

---

[33] المصدر السابق،ج2،ص349.
[34] المصدر نفسه ج3، ص42.
[35] المصدر نفسه، ج3،ص288.
[36] المصدر نفسه، ج3 ص66.
[37] المصدر نفسه، ج3، ص445.

قلوب المسلمين.

كما سلك العلامة محمد البشير الإبراهيمي في ذلك مسلكان؛ المسلك الأول هو التصريح بدلالة الآية على الواقع، وانتظامه في منطوقها، ومفهومها مع حشد الأدلة على ذلك في وصف دقيق.

أما المسلك الثاني فهو إلى التلميح أقرب، وإن كان التلميح عند اقتضاء المقام يكون باقتباس آي القرآن الدالة على الواقع، وفي أحيان كثيرا يكون لها من الروعة، وحسن السبك ما يجليها في لمحة دالة لأولي الألباب تهديهم إلى حسن مواقع القول في ذلك.

ومن أعظم ما يستخلص أن القرآن هو معين المصلحين الذي إليه يردون، ومنه يصدرون، وعليه يوصى باستخلاص هدايات القرآن في إصلاح الأفراد والمجتمعات، ولفت الانتباه إلها وإبرازها وتجليتها في بحوث هادفة قريبة المتناول لواقع الناس.

المراجع:

- القرآن الكريم.
- آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، محمّد بن بشير بن عمر الإبراهيمي ت: أحمد طالب الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي.الطبعة: الأولى، 1997.
- الأعلام،خير الدين بن محمود بن محمد، الزركلي الدمشقي الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م
- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، عبد العزيز الضامر، الطبعة الأولى 1428هـ/2008م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي،ت: د. يوسف الصميلي الناشر: المكتبة العصرية، بيروت،الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية ،ت: محمد المعتصم بالله البغدادي،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
- مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1490هـ/ 1980م.